جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

المرحلة : الثانية

المادة : تاريخ البلاد العربية في العهد العثماني

عنوان المحاضرة : الغزو البرتغالي للخليج العربي والبحر الاحمر

اسم التدريسي : م . وجدي حسين علي

الايميل الجامعي للتدريسي : wajdyhussein١٩٧١@tu.edu.iq

الغزو البرتغالي للخليج العربي والبحر الاحمر :

لقد سبق البرتغاليون غيرهم من الأوربيين في المجال الاستعماري فبعد اكتشافهم الطريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨م تمكنوا من الوصول الى المياه العربية الجنوبية المتمثلة بالخليج العربي والبحر الاحمر والبحر العربي . وقد احتلوا أغلب موانئ الخليج العربي المهمة وجزيرة وبنو قلاعا دفاعية حصينة في هرمز ومسقط وعمان والقطيف وصحار والبحرين . وقد جاءوا الى المنطقة بأساطيل قوية تضم سفنا كبيرة ذات اسلحة نارية فتاكة لذلك لم يكن لسكان المنطقة قبل بها فعجزوا عن مقاومتها في باديء الامر . كما تميزت سياستهم بالعنف والقسوة والتعصب الديني والعنصري.

كان لظهور البرتغاليين اوائل القرن السادس عشر أثر بعيد في تاريخ الخليج العربي واقطاره . فقد حولوا طرق التجارة عن مجراها التقليدي المار عبر البحر المتوسط والبحر الاحمر فالبحر العربي والعراق فحرموا منطقة الخليج من مصدر اساس من مصادر ثروتها . وكانوا بالاضافة الى ذلك مدفوعين في حركة الاستكشافات والتوسع هذه بروح صليبية ، وكانت غاياتهم واضحة ومحددة اولها الالتفاف حول العرب وشن الحرب عليهم وتوجيه ضربة قاضية للتجار العرب الذين كانوا يعملون من العصور الوسطى في نقل التجارة الشرقية من الهند والشرق الاقصى الى موانئ البحر الاحمر والخليج العربي حيث تتولى القوافل العربية نقلها من السويس عبر الاراضي المصرية الى القاهرة فالاسكندرية او من البصرة عبر العراق وبادية الشام الى موانيء البحر المتوسط لتنتظرها سفن المدن الإيطالية ومنها جنوه والبندقية وتحملها الى اوربا.

كان الوطن العربي عندما بدأت هجمات البرتغاليين على البحر الاحمر في اوائل القرن السادس عشر يمر في دور انحلال سياسي وعسكري في حين كانت الدولة العثمانية باعتبارها دولة اسلامية قد وصلت الذروة في في قوتها السياسية والعسكرية . لذلك اتجهت انتظار بعض العرب الى الدولة العثمانية كي تعينهم ضد الخطر البرتغالي . وعلى سبيل المثال اقترح شريف مكة سنة ١٥١٦م ارسال وفد الى السلطان سليم الأول

طلبا للمساعدة العسكرية غير ان السلطان" المملوكي قانصوه الغوري (١٥٠٠ - ١٥١٧م) منع سفر ذلك الوفد .

وسرعان ما ادرك المماليك خطر البرتغاليين الذي بات يهدد طرقهم التجارية المؤدية إلى الهند ، كما يهدد المراكز الاسلامية المقدسة في الجزيرة العربية خاصة بعد ان اتضحت اهداف البرتغاليين بالتقدم للاستيلاء على مصر والأماكن المقدسة في الحجاز وفلسطين. ويتجلى ذلك في رغبة القائد البرتغالي الفونسو البوكيرك الذي كان يحلم بقيادة جيوش ضخمة تحقق اهداف البرتغاليين الاستعمارية ورغم ان هذه الخطط كانت فوق طاقة البرتغال ولكن يتجلى مغزاها في انها تظهر لنا ان اعظم قادة البرتغال لم ينس المثل الصليبية العلياء هذا ومن جهة اخرى كان البرتغاليون مدركين وقلقين كذلك من الا رد الفعل لغزوهم سوف لا يقتصر على المقاومة العربية بل يشمل العثمانيين الذين يحتمل ان يجيئوا المساعدة ابناء دينهم ... في الخليج العربي .

وعلى الرغم من اختلاف الاهداف السياسية لكل من العثمانيين والبرتغاليين في الاقطار العربية، غير أن المجابهة العسكرية بين الطرفين كانت محتملة الوقوع اثناء الربع الأول من القرن السادس عشر. خاصة بعد فشل المماليك في محاولاتهم حماية حدودهم الجنوبية وابعاد الخطر البرتغالي اثناء السنوات الممتدة بين ١٥٠٦م و ١٥٠٩ من جهة ، واندحار الصفويين الفرس امام العثمانيين في معركة جالديران سنة ١٥١٤م من جهة أخرى . فعندما عرف القائد البرتغالي البوكيرك بهزيمة الصفويين كتب إلى الملك البرتغالي عمانوئيل الأول للسماح له بتجهيز الشاه اسماعيل بالمدفعية اللازمة كي يتمكن الصفويون من اضعاف القوة العثمانية ويعرقلوا تقدم العثمانيين صوب المياه العربية والهندية .

لقد دفعت الضرورة السلطان المملوكي قانصوه الغورى بعد ان حطم البرتغاليون اسطوله في حاول Chaul سنة ١٥٠٩ م قرب ميناء ديوا إلى طلب المساعدة البحرية من السلطان العثماني. فأسرع العثمانيون في

ارسال مواد بناء السفن مع الفنيين المختصين إلى ميناء السويس في كانون الثاني ١٥١١م.

في هذه الاثناء لم تتوقف فعاليات البرتغاليين في المياه العربية، فرغم فشل القائد البوكيرك في احتلال عدن سنة ١٥١٣م بسبب المقاومة العربية الباسلة غير انه استطاع الدخول إلى البحر الاحمر واحتلال جزيرة قمران ، فأصبح ميناء جدة معرضا لخطر مدفعية البرتغاليين . وعندما كمل بناء الاسطول المملوكي عين السلطان الغوري سليمان ريس، وهو قائد بحري عثماني رئيسا له فأبحر من السويس سنة ١٥١٥م مستهدفا الدفاع عن البحر الاحمر وطرد البرتغاليين منه وابعاد خطرهم عن مكة المكرمة، واستطاع في سنة ١٥١٧م وسنة ١٥٢٥م احباط الهجمات البرتغالية على جدة. ونجح العثمانيون في اثناء هذه الفترة في التمركز في زبيد لكنهم فشلوا في تثبيت سيطرتهم على ميناء عدن ولم يتحقق لهم ذلك الا بعد احتلال العراق .